

(١)

بناء الوعي وأثره في مواجهة التحديات

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ } ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وبعد :

فإنَّ الوعيَ بقيمةِ الوطن ، وبالتحديات التي يُواجهها ، وبالمخاطر التي تحيطُ به ، أمرٌ لا غنى عنه ، خاصة ونحن في مرحلةٍ شديدةٍ الحرج في تاريخ منطقتنا : المخاطرُ جسام ، والتحدياتُ هائلة ، والأمرُ أقرب ما يكون إلى زمن الفتن التي تجعلُ الحليمَ حيرانَ لشدةِ اختلاطِ الأمور ، واضطرابها ، وتقلبها .

ومما لا شك فيه أن قضية الوعي بالوطن ، وبمشروعية الدولة الوطنية ، وضرورة دعم صمودها ، والعمل على رقيها وتقدمها ، أحد أهم المرتكزات لصياغة الشخصية السوية ، وأحد أهم دعائم الولاء والانتماء للوطن والحفاظ على مقدراته وكل ذرة من ثراه الندي .

إن الوعي بالمخاطر يحتاج إلى أعمال العقل الذي كرم الله (عز وجل) به الإنسان حتى يميز بين الصالح والطالح ، حيث يقول سبحانه : { قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } ، ويقول سبحانه : { وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } ، وقد نعى القرآن الكريم على أولئك الذين لا يعملون عقولهم في التفكير والتدبر ، ولا يستخدمونها فيما خلقت له ، فقال تعالى : { وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِحَظْمِهِمْ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ

(٢)

بِهَا أَوْلَيْتَكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَيْتَكَ هُمْ الْعَافِلُونَ}، ثم أخبر أن هؤلاء يوم القيامة
تدوم حسراتهم ، ويعلمون ندمهم ، فقال سبحانه حكاية عنهم :{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَحَقًّا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ}، ولذلك قيل :
{إِنَّ تَفَكُّرَ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةٍ} .

ومما يزيد الأمر خطورة وحرَجًا أن أعداء الأمة دائماً يراهنون على تغييب الوعي ،
وليس ذلك جديداً على أصحاب الدعوات الهدامة والأفكار المتطرفة الذين لا يرقبون
في الأمة إلا ولا ذمة ؛ فمنذ بداية دعوة الإسلام قام أعداء الدين بمحاولات متعددة
للصدِّ عنه ، معتمدين على تغييب الوعي بقلب الحقائق وكيل الاتهامات ، قال تعالى :
{وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا
وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشوا واصبروا على آيَاتِكُمْ إِنَّ
هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خِطْلَقٌ}، وكذلك يغيبون
الوعي بعدم إفساح المجال لمجرد سماع كلمة الحق ، قال سبحانه حكاية عنهم :
{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ} .

ولا خلاف في أن تشكيل وعي أمة أو بناء ذاكرتها ليس أمراً سهلاً ولا يسيراً ، ولا يتم
بين لحظة وأخرى ، أو بين عشية وضحاها ؛ إنما هو عملية شاقة مركبة ، وأصعب منه
إعادة بناء هذه الذاكرة ، أو ردها إلى ما عسى أن تكون قد فقدته من مرتكزاتها ، فما
بالكم لو كانت هذه الذاكرة قد تعرضت للتشويه ، أو محاولات الطمس ، أو المحو ، أو
الاختطاف ، ولا سيما لو كان ذلك قد استمر لعقود أو لقرون !؟

إنّ بناء وعي بني وطننا يتطلب الإلمام بحجم التحديات التي تواجهنا ؛ لأننا دون
إدراك هذه التحديات ، ودون الوعي بها ، لن نستطيع أن نضع حلولاً ناجحة تسهم في

خلق حالة من الوعي الحقيقي ، ولعل من أخطر التحديات التي تواجهنا تلك التحديات التي تهدد أمننا واستقرارنا في أوطاننا ، فالأمن نعمة من أجل نعم الله (عز وجل) على الإنسان ، حيث يقول سبحانه : {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ} ، فبدونها لا يهدأ للإنسان بال ، ولا تطمئن له نفسٌ ، ولا يهنأ بالحياة حتى لو أوتي الدنيا بحذاقيرها ، فسعادة الدنيا ونعيمها في تحقيق الأمن والاستقرار ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا) ، فبدون الأمن لن تقوم دولة ، ولن يطمئن أحدٌ على نفسه ، أو أهله ، أو جيرانه .

من أجل ذلك يجب علينا أن نكون جميعاً في يقظة ووعي وحيطة وحذر ، وأن نتعظ بغيرنا ، وأن نستفيد من تجارب الحياة وخبراتها ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ} ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ) ، فلنعلم أن حفظ ودوام أمن ووطننا أمانة في أعناقنا جميعاً ، كل في مجاله وميدانه ، كيف لا ؟ والحفاظ على الوطن من أهم الضروريات لحفظ الدين وبقاء الدنيا ، فبدون الوطن لن نتمكن من عبادة الله (عز وجل) ، وبدون الوطن لن نستطيع إعمار الأرض التي أمرنا الله (عز وجل) بإعمارها ، وإن أي وطني شريف لا يتردد لحظة في أن يفتردي وطنه بنفسه وماله ، فكيف يكون المفتدى به أهم وأغلى من المفتدى ، ومن ثم يجب الأخذ على أيدي المفسدين العابثين بأمن الوطن واستقراره ، وتحذير الناس منهم ، حتى لا يوردونا موارد الهلاك .

كذلك من أهم التحديات التي نواجهها : التحديات الاقتصادية ، فهذه المرحلة المفصلية من تاريخ وطننا توجب علينا التكاتف لمواجهة المشكلة الاقتصادية ، ولا

(٤)

يتحقق ذلك إلا بالعمل الجاد والمثمر ، وضرورة تحريك المال واستثماره ، وزيادة الإنتاج ، فقد حثَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلم على العمل وعمارة الأرض حتى يدركه الموت ، أو تأتبه الساعة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرَسَهَا فليَغْرِسَهَا) ، وتلك دعوة صريحة للعمل والإنتاج ، لتُعمَّر الديار ، وتزدهر الأوطان ، وبهما يكفي المؤمن نفسه هو ومن يعول .

فعلى شباب الأمة أن يدرك أن الوعي الحقيقي هو البناء لا الهدم ، والإعمار لا التخريب ، وعليهم أن يقتحموا الصعاب ، وأن يواجهوا التحديات بعزيمة قوية ، وروح وثابة نحو البناء والتعمير ، وعمارة الكون ، وحب الخير للناس جميعاً ، مؤمنين بحق الجميع في الحياة الكريمة ، بغض النظر عن الدين ، أو اللون ، أو الجنس ، أو العرق . إضافة إلى ضرورة التكافل الاجتماعي الذي حث عليه ديننا الحنيف من خلال الترغيب في العمل التطوعي ، والدعوة إلى المسابقة في الخيرات ، والمنافسة فيها ، والمسارعة إليها حتى لا تسيطر علينا الفردية ، أو الأنانية ، أو السلبية ، فقال تعالى : {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} ، وقال سبحانه : {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا} ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : (بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ ، قَالَ : فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصْرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ ، فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ) ، قَالَ : فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ ، وَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يَا ابْنَ آدَمَ : إِنَّكَ إِنْ تَبَدَّلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ ، وَإِنْ تُمْسِكُهُ

(٥)

شَرُّكَ ، وَلَا تُلَامُ عَلَيَّ كَفَافٍ ، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى).

كذلك من الأخطار التي تواجهها : خطر الانحراف الفكري ، فإن من أبرز مظاهر عظمة الإسلام الاعتدال والوسطية ، حيث يقول سبحانه : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } ، فمنهج الإسلام معتدل متوازن ، أساسه التخفيف واليسر ، قال تعالى : { يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ } ، وقال سبحانه : { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا ، وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ ، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ) .

ولقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من كل مظاهر الغلو والتطرف ، فقال : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُفْرًا وَالْغُلُوفُ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوفُ فِي الدِّينِ) ، وعن أنس (رضي الله عنه) قَالَ : جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَاتَبَهُمْ تَقَالُوهَا - أَي رَأَوْهَا قَلِيلَةً بِالنِّسْبَةِ لِمَا يَنْبَغِي لَهُمْ - فَقَالُوا : وَآيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : (أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

(٦)

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

إخوة الإسلام :

إن للإرهاب مخاطرَ كثيرة ، والوعي الحقيقي هو سلاحنا لمواجهة هذه المخاطر ؛ فالإرهابُ يحارب مقاصد الشريعة التي من أهمها : حفظ الدين ، والوطن ، والنفس ، فالإرهاب لا يقر حرية الاعتقاد التي كفلها القرآن الكريم للناس جميعاً في قوله تعالى : {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} ، والإرهاب لا يعرف حرمة دور العبادة التي حفظها الإسلام كلها ، دون أدنى تفرقة ، وحرمة الاعتداء عليها قولاً أو فعلاً ، حيث يقول سبحانه : {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} ، والإرهاب لا يعرف حرمة النفس التي حرم الله (تعالى) التعدي عليها ، سواء أكانت مسلمة أم غير مسلمة ، حيث قال سبحانه : {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} ، والإرهاب لا يعرف قيمة الأوطان ، وإنما يعيش فساداً في الأرض التي أمرنا الله (عز وجل) بإعمارها ، ونهانا عن الإفساد فيها ، حيث يقول سبحانه : {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} ، ويقول سبحانه : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ} .

فما أحوجنا إلى الوعي الحقيقي بالتحديات التي تواجهنا ، وضرورة التصدي لها ، والعمل - بكل إخلاص - للحفاظ على الوطن ، والدفاع عنه ، وأن يقوم كل منا بمسئولته ، ويؤدى واجبه تجاهه ، فللوطن في الإسلام شأن عظيم ، والتفريط في حقه

(٧)

خَطْرٌ جَسِيمٌ ؛ لذلك أَعْلَى النَبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من قيمة الشرفاء والنبلاء الذين يدافعون عن وطنهم ، ويضحون من أجله بكل غال ونفيس .

ولا شك أن رجال قواتنا المسلحة البواسل وشرطتنا الوطنية الشرفاء لهم دور بارز في مواجهة التحديات بما يقدمون من تضحيات كبيرة في سبيل دينهم ووطنهم ، وجزاؤهم في ذلك عند الله عظيم ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ) .

أما شهداؤنا الأبرار فهم أحياء عند ربهم يرزقون ، حيث يقول سبحانه : {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} ، ويقول (عز وجل) : {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ- إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدِّمِّ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ) .

فتحية إعزاز وتقدير لكل وطني غيور على وطنه حريص على أمنه وسلامته ، وتحية إجلال وتوقير لحماة مصر الأبرار وشهدائها الأطهار الذين روت دماؤهم الزكية شجرة العزة والكرامة في وطننا ، ولن يضيع وطن أخلص له أبناؤه وبذلوا لأجله أرواحهم وأنفسهم وأموالهم ، وهنيئاً لهم ما أعد الله لهم في دار كرامته ومستقر رحمته .
اللهم أرنا الحق حقا ، وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا ، وارزقنا اجتنابه ، واحفظ ديننا ووطننا ، واجعل مصر أمنا أمانا ، سخاء رخاء ، وسائر بلاد العالمين .